التابو أو اللامساس

فى عدد ابريل سنة ١٩٣٢ تناول حضرة الزعيم الكبير الدكتور عبد الرحمن شهبندر الكلام على موضوع « التابو أو اللامساس » فأثار هذا البحث جدلا كبيراً فى الصحف السورية ونشرته مجلة العرفان برمته معقبة عليه . وجاءتنا ردود كثيرة حوله ، ننشر منها هذه الردود عملا بحرية الرأى ؟ المحرر

— ١ —

استغربت قول الدكتور الفاضل عبد الرحمن شهبندر فى صفحة ١٤٢٥ من مجلتكم : « بل هذا التنجس الذى يشعر به إخواننا الشيعة ، من كل من خالفهم شعوراً محمولا على المعنى المادى المحسوس » وقوله « لأننا آمنا بخلافة أبى بكر وعمر » فهذا لا أثر له عند أصحابنا الشيعة بتة .

أما العامة الجهلة للدين من الشيعة وغيرهم ، ومنهم ينشأ فساد الدين ؛ ألا ترى أن ابن أبى الحديد عبد الحميد سأل عالمنا الشهير أبا جعفر يحيى بن محمد العلوى ، نقيب البصرة ، عن أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فقال مرة : « أتقول إنهما من أهل الجنة ؟ » فقال : « إى والله أعتقد ذلك ، ولا أشك فى إيمانهما برسول الله ... وصحة عقيدتهما » قال : « فقلت له فعثمان ، قال وكذلك عثمان » ثم قال : « رحم الله عثمان ، وهل كان إلا واحداً منا وغصنا من شجرة عبد مناف ؟ ولكن أهله كدروه علينا ، وأوقعوا العداوة والبغضاء بينه وبيننا » (١) مع أن الرجل كان إمامياً علويا .

وألف العالم الشيعى المعاصر لنا (أبو عبد الله الزنجانى الأيرانى) عضو المجمع العلمى بدمشق ، كتابا فى تحليل مؤاكلة اليهود والنصارى ، فكيف يتنجس الشيعة من السنة ، ودينهم واحد ، وربهم واحد ، ونبيهم واحد ؟

أما الذى لاقاه الدكتور شهبندر ، فهو من الجهلاء الذين ابتلى الشيعة بهم ، وكذلك السورى الذى أفتى الترك ، بتحليل أموال الشيعة وقتلهم فى زمن الحرب العظمى ، وربك أعلم بالمهتدين .

ياسيدى : — وفى كل من مذهب الشيعة والسنة خرافات ، يجب تطهيرهما منها ، ليتحد المسلمون ويظهر لباب الدين الذى جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ؟

(بغداد) مصطفى جواد

---

(١) شرح ابن أبى الحديد (مج ٢ ص ٥٢٧)

— ٢ —

طالعت فى مجلة « المعرفة » الغراء بحثاً علمياً فلسفياً فى الجزء الثانى عشر لسنتها الأولى فى ١ نيسان سنة ١٩٣٢ بعنوان (التابو أو اللامساس) بقلم زعيمنا الكبير العلامة الدكتور عبد الرحمن بك شهبندر .

وشد ما كان استغرابى للأساس الذى بنى عليه بحثه الاجتماعى مدعوماً بالظن والتخمين ، وغير مستند إلى دليل منطقى أو برهان معقول ، و « إن بعض الظن إثم » ؛ وهو العلم الفرد الذى له مكانته العلمية ، والأستاذ البعيد الغور الذى له مكانته السياسية ، فعلمت إذ ذاك أن سياسة التفرقة بين المسلمين فى العهد الأموى لم تزل متأصلة فى النفوس ، تعمل عملها فى القرن العشرين ولو عن غير قصد .

قال الزعيم الكبير حفظه الله : « إنه ركب سنة ١٩١٥ من مدينة (هيت) على شاطىء الفرات إلى العتبات المقدسة ، « النجف وكربلاء والكوفة » مع نوتى من عرب المعدان من عوام الشيعة ، اسمه (حسين) ولما أذنت الشمس بالمغيب ، طبخ النوتى طعاماً من الأرز والهرمان ، ودعاه مع رفيقه المرحوم السيد (توفيق الحلبى) لكى يشتركا معه ، وكان يقسم الأيمان أنه لا يتأفف من الأكل معهما ، فشكره على ذلك ، ثم همس فى أذن رفيقه بأن الشيعة على شاطىء الفرات هم من الغلاة ، الذين يأخذون بظاهر الآية « إنما المشركون نجس » وهم يحتقروننا فى زمرة هؤلاء المشركين ؛ لأننا آمنا بخلافة أبى بكر وعمر ولم ننتصر لأهل البيت الانتصار اللائق . »

أعزك الله يا مولاى الزعيم ، لقد أسرفت فى حكمك وأنت الحاكم العدل ، وجرت باستنتاجك وأنت معدن الفضل ، لأن دعوة (حسين المعيدى) لكما إلى طعامه وقوله إنه لا يتأفف ، لا تستدعى الحكم القاطع على إخوانك فى الدين بأنهم يحتقرون إخوانهم فى زمرة المشركين ، كلا ورب الكعبة ، إن الشيعة براء من هذه الأباطيل ، ولم يقل بهذا أحد من علماء المسلمين الشيعيين والسنيين فى العهدين الأموى والعباسى ، وهذه كتب الفقه لا تؤيد ما همست به فى أذن رفيقك ، والآية الكريمة التى استشهدت بها « إنما المشركون نجس » لا تنطبق على المسلمين ولا على المسيحيين ، وإنما نزلت فى مشركى قريش بالاجماع ، وهذا تفسير القرآن للعلامة الطبرسى الشيعى ، وهو من أحسن التفاسير جمع فأوعى يدحض هذه الشبهة .

إن هذا الحكم لو صدر من أمثال (حسين المعيدى) ، لا يؤبه له ولا يقام له وزن ، ولكن أنت الحامل لواء العلم ، المجاهد فى سبيل اتحاد كلمة المسلمين ، فهل يليق أن تكتب على صفحات المجلات والجرائد السياسية ، وكلامك القول الفصل ، بأن المسلمين الشيعيين يحتقرون إخوانهم فى زمرة المشركين ؟ وهل يجوز أن تزرع زرعاً لا يأتى أكله إلا سما زعافاً ؟

لقد ذكرتنى يا دكتور بحكاية عرضت لى منذ ثلاثين سنة فى العهد العثمانى فى مدينة (صور) ، وكانت وقتئذ مركز الطابور الرديف ، وهى : أن الملازم (عبد الرزاق أفندى) من عجلة

الشاغور بالشام ، طلب أن يقرأ على درساً فى النحو ، فأجبته إلى طلبه ، وكان يستوضح منى بعض المسائل، وفى يوم من أيام الصيف كنا جالسين على شاطىء البحر مساء ،وقد تهافت الناس للاستحمام ، فقال لى : ياأخى! إن أكثر الناس فى هذا البلد شيعيون ، وعندنا منهم كثيرون نقبذهم بالأرفاض، وقد بلغنى أن الرجل منهم له ذنب فوق إليتيه ، فاستغربت هذا الأمر من فائد متخرج فى معهد عسكرى عال ، فقلت له ياأخى! ومن أخبرك أن لهم أذناباً ؟ فقال هذا شائع عندنا فى الشام ، فحينئذ طلبت اليه أن يستعرض المستحمين كما يستعرض الجيش ، لكى يزول ماعلق بذهنه ، فعاد وهو يتأفف من هذه الترهات التى ما أنزل الله بها من سلطان .

ياموالاى الزعيم : أنت تعلم يقينا أنه لااختلاف بين الشيعيين والسنيين فى الأصول ، وهذا كتاب الله بين أيديهم ، لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهذا كلام نبيهم الصادق الأمين الذى لاينطق عن الهوى « إن هو إلا وحى يوحى » ، وإذا حصل خلاف فى الفروع لايزيد عما بين الأئمة الأربعة :

وكلهم من رسول الله ملتمس غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم

فالخلاف حزبى سياسى حاشا الدين ، كان بين الهاشميين والأمويين ، ثم انقسم الهاشميون إلى علويين وعباسيين ، ثم إلى شيعيين وسنيين ، وكانت الحرب سجالا يثيرها علماء السوء لينالوا الزلفى من ملوك زمانهم ، وكان التعصب يظهر ويختفى بحسب الظروف ، والناس على دين ملوكهم ، وماعهد جمال باشا السفاح ببعيد ، فقد استحصل على فتاوى من أكثر علماء سوريا بتكفير رئيس البيت الهاشمى ، لمطالبته بحقوق العرب ، فالآن ليس للمسلمين سلطة دينية ولا دنيوية ، والأغيار يسومونهم سوء العذاب ، وطأوا بسنابك خيلهم أوطاننا ، وملكوا باختراعاتهم أرضنا وأصبحنا غرباء فى بلادنا ، ولم يزل الدين مطية للنكاية والتفرقة بيننا ؛ المسلمون منتشرون فى القارات الخمس من سنيين وشيعيين ، يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويؤدون مناسك الحج ويعبدون ربهم فى المساجد جنباً لجنب ، متصلة أنسابهم بالمصاهرة والمجاورة ، يتبادلون المآدب والولائم ، لايتورعون عن طعام بعضهم بعضاً ، فمتى نستيقظ من سباتنا ونضرب بهذه الأكاذيب عرض الحائط ؟ ونعتصم بدينا القويم ، عملا بقوله عز وجل « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا »

ياحضرة الدكتور! أنت حكيم للأرواح والأجسام ، وأنت محط الامال ، وعليك المعول فى رتق هذا الفتق بين المسلمين ، وكنا نربأ بقلمك الفياض أن يجرى فى هذه الحلبة بدون تمحيص ، ولنا بغزارة علمك، وقوة حجتك وسعة اطلاعك ، دحض ماسجله قلمك عن سهو أو نسيان ، والعصمة لله وحده ، ومثلك من يتحرى الحقائق للخدمة العامة مصداقاً لقوله تعالى « إن الظن لايغنى عن الحق شيئاً »

صيدا (سوريا) سليمان ذوه

— ٣ —

قرأت اليوم ما كتبه معالى الزعيم الكريم الدكتور شهبندر فى «المعرفة» الزاهرة عن (اللامساس) وتعرضه فى المقال لحادثة وقعت لمعاليه، أثناء ذهابه إلى العراق مع أحد فلاحى تلك البلاد، وتوهمه أن الشيعة — لاسيما من كان منهم على ضفاف الفرات، الذين عدهم غلاة وليسوا من الغلو على شىء — يعتقدون الاشراك بمن يعترف بخلافة ابى بكر وعمر، فيطبقون عليهم ظاهر الآية: «إنما المشركون نجس»!!

وكم كنت أود — وأنا ممن يضمرون للدكتور الزعيم كل احترام — لو أن معاليه لم يلق الكلام على عواهنه فى هذا الموضوع الخطير، بل بحث واستقصى كتب الشيعة واعتقاداتهم، ليرى إن كان هذا الذى سمعه من أفواه بقايا القرون المظلمة حقا أم غير حق...

وما احسب هذا الوهم الذى اعتقده الدكتور إلا مقتربا اليه من المحيط الدمشقى الذى كان يعتقد إلى حين قريب بالشيعة اعتقادات ماأنزل الله بها من سلطان، ولم تخطر للشيعة فى بال.

ومثل الدكتور فى علمه ووطنيته يجب أن يترفع عن اتهام طائفة إسلامية كبرى، لها فى تاريخ العرب والاسلام فى الماضى والحاضر أنصع الصفحات، تهما لم يوجهها للسالفين إلا التعصب الأعمى والغرض والجهل.

والشيعة الذين ظلوا أزمانا عديدة عرضة لشتى المتالب فى عقيدتهم وإسلامهم، لم يكونوا فى يوم من الأيام إلا فريقا إسلاميا، لا يختلف عن غيره إلا بأنه يرى فى على بن أبى طالب رجلا تجمع فيه كثير من الخلال الفاضلة، والصفات الحميدة، فكان أهلا للاكبار والاعجاب والتقدير والتفضيل، وأن آل الرسول لم يعاملوا بعد الرسول معاملة يقتضيها الاعتراف بالجميل، لمن نفخ فى العرب روح الحياة وأسس مجدهم العظيم.

وأما فيما عدا هذا فليس بين الشيعة وغيرهم من المسلمين فرق: لا فى الاعتقادات، ولا فى المعاملات، وإذا وجد فرق طفيف فهو لايعدو هذه الفروق التى نراها بين الشافعى والحنبلى والمالكى والحنفى، مما مرده فى ذلك الاجتهاد واختلاف الانظار.

فلا ندرى متى يقدر للباحثين أن يدرسوا حقيقة هذا المذهب الاسلامى الشيعى، كما درسوا المذاهب الأربعة الاسلامية، فيعرفوا أن ماعلق فى أذهانهم عنه ليس إلا وهما وخيالا، فنرتاح من الردود والنقود؛ وكتب القوم مطبوعة ومنتشرة فى كل صقع وقطر، ومن السهل الرجوع اليها للوقوف على الحقيقة.

ولا أدرى إن كان فى كلامى هذا مقنع لمعالى الزعيم فى فساد ماذهب اليه، فيعمد إلى تصحيح ماكتبه فى «المعرفة» عن الشيعة، ويغير — هو وغيره — اعتقاده فيهم، فلا يتكلم الناس عنهم بعد اليوم الا بالحقيقة الواقعة، أم أنا سنضطر فى كل مناسبة إلى حمل أقلامنا والدفاع عما يلصق بنا مما لايمكن احتماله. ومما يعلم الله أننا بعيدون عنه وبرآء منه؟!

دمشق (الجامعة السورية) حسن الأمين